

## تأملات في حكاية شعبية

### حكاية: لولية بنت الغولة

طه الهباهبة \*



\* باحث في التراث الشعبي، وزير سابق.

## نص الحكاية بلهجتها الشعبية

”كان فيه سلطان ، متجوز مره وبحبها كثير وما خلفت له اولاد وكانت تدعي ربهها دايمه انه يفرحها ويفرح جوزها، وإذا جاها ولد غير تسميه (يوسف) وتخلي الزيت يجري في الوادي، فاستجاب الله دعواتها ورزقها ولد وسمته (يوسف)، لكن ما وقت بنذرها ولما صار عمر الولد ست سنين وهو بلعب اجاه مارد كبيرو صار يقول اله: قول لامك انها توفي نذرك والا بقصف عمرك، ولما رجع يوسف على البيت نسي ان يقول لامه اللي صار، وفي اليوم الثاني اجا المارد وقال اله نفس الكلام وساله ليش ما قال لامه؟ فقال نسيت فقرصه حتى لاينسى.

وسارت القصة تتكرر كل يوم المارد بقرص ويوسف بنسى وفي احد الايام وكانت امه بتحممه شافت اللي على جسمه وسالته فانكر اوله ولكنه اعترف لامه وذكر لها قصة المارد فخافت على ابنها وطلبت من زوجها انه يوفي النذر، فقال زوجها ان هذا النذر مكلف ولكن الزوجة اصرت على تنفيذه خوفا على ابنها من المارد فنادى الزوج على الخدم وطلب منهم ان يحملوا الزيت واعلنوا للناس والرعية كلها انه رايح يخلي الواد يجري بالزيت فصاروا الناس يحضروا اواني عشان ياخذوا الزيت قبل ما تشربه الارض ولما سال الزيت في الوادي راحوا الناس يجمعوه وكل واحد يوخذ نصيبه الا عجوز اتاخرت لانها مريضه وتعبانه جابت معها قنينه اصغيره وصارت تعبي فيها اشوي اشوي وكان في الارض توالي زيت فاتغلبت وتعبت حتى عبتها، وكان يوسف واصحابه يلعبوا حول العجوز حتى كسروا قنينة الزيت فغضبت العجوز وسالت مين اللي كسرقنينتها؟ فقالوا لها : هذا يوسف. قالت: يوسف ما اقدر ادعي عليه لانه وحيد امه وابوه، ولكن الله يبلاه في حب (لوليه بنت الغوله). ولما كبر يوسف وصار شاب مرض وما فادوا كل الاطباء اللي جابههم ابوه الا واحد كان عنده كان عنده خبره وتجارب في الحياة قال هذا الولد مدعي عليه في حب لوليه بنت الغوله وما بطيب من مرضه غير ايشوفها ، راح يوسف عند العجوز اللي دعت عليه وسالها عن لوليه وقصتها وخبرته انها تربت عند الغوله لان الغوله سرقتها من اهلها وهي صغيره وحبستها في قلعة عاليه جدا وما بدخلها الا اللي بتعربش على شعرها فركب فرسه وراح على القلعه اللي فيها لوليه وقال لها:

يا لوليه يا بنت الغوله دلي شعورك وطلعيني.

فقامت ودلت شعرها مثل الحبل وتعربش عليه وطلع لعندها وحكى عن حاله وحكت هي عن حالها فحبها وحبته وخافت عليه من الغوله وقالت بس تيجي الغوله بخاف توكلك بدي اسحرك، فسحرته (ابره) وسحرت فرسه (مخاط) ولما اجت الغوله وقالت يا لوليه بنت الغوله دلي شعورك وطلعيني دلت لها الشعر وطلعت.

وقالت للوليه: فيه ريحة انس فقالت لها : ما انا انس فسكتت الغوله.

وفي اليوم الثاني رجعت الغوله وطلعت بنفس الطريقه وقالت ريحت انس من اليوم والا من امس والا من طلوع الشمس فاجابتها البنت بنفس الجواب، وفي المرة الثالثة لما الغوله راحت تسرح قامت فرفعت عنه السحر وعن فرسه وقامت لوليه وعجنت (حناء) وحننت كل الاواعي حتى ما تفسد عليها، ومع السرعة نسيت تحني(الدف) وبعدين ركبت وراه على الفرس وشردوا. ولما اجت الغوله وكانت تحت القلعه تنادي على لوليه حتى تطلعها لكنها ما ردت عليها وردت عليها الرحاه وقالت : لوليه ابتحمم استني اشوي ونادت مره ثانيه ورد عليها صحن العجين وقالها استني اشوي لوليه ابتعجن، واستنتت ونادت وردت عليها (الحلة) وقالت: لوليه ابتطبخ وبعدين رد عليها الزير وقال لها: لوليه ابتشرب مي استني اشوي ، الحاصل انه كل الاواني اللي ردت عليها امحنيات بس الدف اللي ما تحنى فسد عليها للغوله وقال ان لوليه طلعت مع يوسف وشردت، فقامت الغوله ومعها كلبها تركض وتلحق ورا يوسف ولوليه، ولما قربت شافتها لوليه وقالت ليوسف. اسرع ولما حسنت ان الغوله وصلتهم دعت على امها وقالت يبلاكي يا يمه بوادي شوك ماتطلي منه وفعلها ربهها استجاب لدعوتها ووقعت الغوله هيه وكلبها في وادي كله شوك وصارت الغوله اتقول للكلب : ارتع وانا برتع معاك، وبعد ما خلصت الشوك راحت تركض ورا يوسف ولوليه، ولما قربت دعت عليها مره ثانيه انها تقع في وادي كله مي ما تطلع منه، فاستجاب ربهها لدعاها ووقعت الغوله وكلبها في المي ، وصارت الغوله تقول للكلب يا الله يا كلبى انت العق وانا بلعق معك حتى شربوا المي، بعدين صارت تركض وراهم ولما حسنت بالتعب وما قدرت تلحقهم فدعت على يوسف انه يصير(طير) صغير ويخطفه طير كبير فسمعوا دعوتها وقال يوسف للوليه اركبي على الفرس حتى توصلي



الطير الي خطف يوسف وقاموا اهل يوسف وعملوا احتفال كبير وعملوا عرس وزفوا يوسف إلى لوليه، وخلفوا صبيان وبنات.“ انتهت الحكاية.

### العناصر الأساسية للحكاية

١ — نلاحظ أنّ القاصّ يدخل مباشرة إلى صلب الحكاية دون مقدمات تقليدية ومثل هؤلاء القصاص (الرواة) لهم قدرة عجيبة على إدارة الجلسات، وفنّ جذب الجمهور

لاهي لانه دعوة الغوله راح تتلبي وفعلا صار يوسف طير صغير فجاه طير كبير وخطفه والفرس وصلت لوليه لاهل يوسف ولما شافوا اهله الفرس فرحوا وفكروا انه يوسف رجع عليها، ولما عرفوا القصة اتهموا لوليه انها السبب في الي صار، ولاموها وما اكرموها وحطوها في مكان سيء حتى تنام على التراب، فاجا يوسف وهو طير ووقف على شباكها وقال الها: يا لوليه بنت الغوله وش حالك ابّيت امي وابوي . . . . . فردت عليه وقالت:

تحتي تراب، فوقي اتراب ، عيشتي يا يوسف عيشة غراب فسمعوها وحنونا عليها وحطوها فوق الحصير ورجع يوسف وسالها نفس السؤال فقالت له:

تحتي حصير فوقي حصير عيشتي يا يوسف عيشة الاسير. فسمعها ابو يوسف وحس انها بتكلم يوسف فامر انهم ينيموها على حرير ويلبسوها حرير فلما رجع يوسف وسالها نفس السؤال قالت:

تحتي حرير، فوقي حرير، عيشتي يا يوسف عيشة امير فطلب يوسف منها ان تطلب من اهله ان يقيموا مادبة كبيرة حتى تحضر كل الطيور ومن بينها الطائر الكبير فسمع اهل يوسف قول لوليه فقاموا وذبحوا الذبائح وحضروا كل الناس الي حواليمهم وحضرت الحيوانات والطيور والوحوش ومن بينها الطائر الكبير، وتمكنوا من صيده فكوا يوسف منه وقامت لوليه بازالة السحر عن زوجها وعاد إلى طبيعته وذبحوا

يركب يوسف فرسه ويذهب إلى مكان لوليه، ولما وصل إلى أسفل القلعة ناداها قائلاً: يا لولية يا بنت الغولة، دلي لي شعورك وطلعيني عندك، فاعجبها صوته فدلّت شعورها وصعد عندها، وأحبته كما أحبها، فقالت له:

إريد ان اسحرك (إبره) وفرسك (مخرز) خوفا عليكما من أمي ، حتى نفكر بطريقة للهرب منها. وتقوم بسحرهما كما قالت.

وتاتي الأم (الغولة) وعندما تصعد تقول للبنت: أنا شامه ريحة إنس من اليوم والا من أمس، فتضحك البنت وتقول: هل نسيت أنني إنس.

ويتكرر هذا الامر ثلاث مرات على ثلاثة أيام، والبنت تنكر، وبعدها قررا الهرب، فقامت بوضع الحناء على كل أدوات المنزل الا (الدف) نسيت ان تحنيه، وهربا معاً، ثم جاءت الغولة، وصارت تنادي على لوليه لتدلي لها شعرها كالعادة، فكانت أدوات المنزل كلّ واحدة تدافع إلا الدفّ فإنه قال للغولة: لولية هربت مع يوسف، وهنا تصاب الغولة بانهييار وحالات من الجنون، فتلحق بهما، هي تقطع واد وهما يقطعان آخر، وهنا تدعو عليهما أن يعترضهما جبل من شوك، ثم نهر، ولكنهما يتجاوزان تلك المشقات، ومع يأسها تدعو على يوسف أن يتحوّل إلى عصفور يخطفه طائر كبير، ويحس يوسف بذلك فيعطي فرسه للبنت ويطلب منها أن تذهب لأهله لطمأنتهم عليه حتى ياتي الفرج.

يتحول يوسف إلى عصفور ثم يخطفه طائر كبير، وتعود لوليه إلى أهل يوسف ولكنهم لم يصدّقوا روايتها فسجنوها، فكان يوسف يأتيها على شكل عصفور ويسألها عن أحوالها.

يطلب يوسف من أهله أن يقيموا وليمة كبيرة لكلّ الناس والطيور والحيوانات ومتى جاء الطائر الكبير فليمسكوا به ويخلصوا يوسف من لعنته، ويحدث ذلك، ويتمّ صيد ذلك الطائر وتقوم لولية بتحرير زوجها منه، ويتمّ ذبح ذلك الطير، ويعود يوسف إنساناً، ويلتقي أهله، ويتزوج من لولية.

تنتهي الحكاية تقليدياً بزواج يوسف ولوليه، ويقول القاص عبارته الشهيرة: وخلفوا صبيان وبنات.

لسماع ما يقولون دون حاجة إلى عوامل تأثيرية سواء كانت دينية ام إجتماعية، فالقاص قال مباشرة: كان فيه سلطان، ثم بدأ في القص دون أن يهتم أو أن يفرش لحكايته ببعض المقدمات.

وتبدأ عقدة الحكاية، حيث نجد أنّ زوجة هذا السلطان لاتنجب أطفالاً، ولهذا جاء النذر كبداية درامية للحدث، حيث تنذر زوجة السلطان إذا رزقها الله بولد أنّها سوف تسميه (يوسف)، وهنا نلاحظ الارتباط الديني والإنساني بين سيدنا يوسف عليه السلام وجمال طلعتة البهية وصبره على المحن والأهوال التي تعرّض لها من أقرب الناس إليه، وبين أمنية زوجة السلطان، وأنها سوف تجعل الوادي يسيل زيتاً، وهنا للزيت دلالة دينية؛ فشجرة الزيتون شجرة مباركة، وهي مصدر الإضاءة والنور والدفء.

ويستجيب الله لدعائها، فيرزقها بغلام وتسميه (يوسف) ولكنّها لم تكمل نذرها، بأن تجعل الوادي يجري زيتاً، وهنا جاء عقاب الولد، من قبل المارد لأن الولد لم يخبر أمّه بذلك، ويتكرّر الفعل ثلاث مرات، الولد ينسى والمارد يقرصه في فخذه، حتى تكتشف الأم ذلك عندما جاءت لتحمم الولد، فلما سالته عن الاحمرار تذكر كلام المارد وأخبرها بتكملة نذرها، وأعلنت في الناس أنها ستجعل الوادي يسيل زيتاً في اليوم المحدد، حيث توافد الناس وأخذوا كلّ حسب طاقته إلا عجوزاً جاءت متأخرة ومعها زجاجة لأخذ ما تستطيع من الزيتن فأخذ الأطفال يعبثون بها حتى كسروا الزجاجة، فغضبت وعندما علمت أنّ يوسف هو الذي فعل ذلك، قالت له: الله يبتليك بحب(لوليه بنت الغوله).

تبرز مشكلة جديدة، وفصل جديد بهذا الدعاء الغريب، فلم يعد يوسف يفكر في شيء إلا في (لولية)، التي لايعرف لها عنواناً، حتى أصابه الهزال وظهر عليه المرض واحترار والده والناس بأمره، فجاء رجل شاهدهُ فقال: هذا الولد مدعي عليه بحب (لولية بنت الغولة)، عندئذ تذكروا العجوز التي كسروا زجاجتها، فنادوا عليها، وأخبرتهم أنّ (لولية) فتاة خطفتها غوله ووضعتها في قلعة شاهقة ولا يصل إليها أحد إلا إذا وافقت (لوليه) على ذلك ودلت له شعرها ليتعربش عليه.